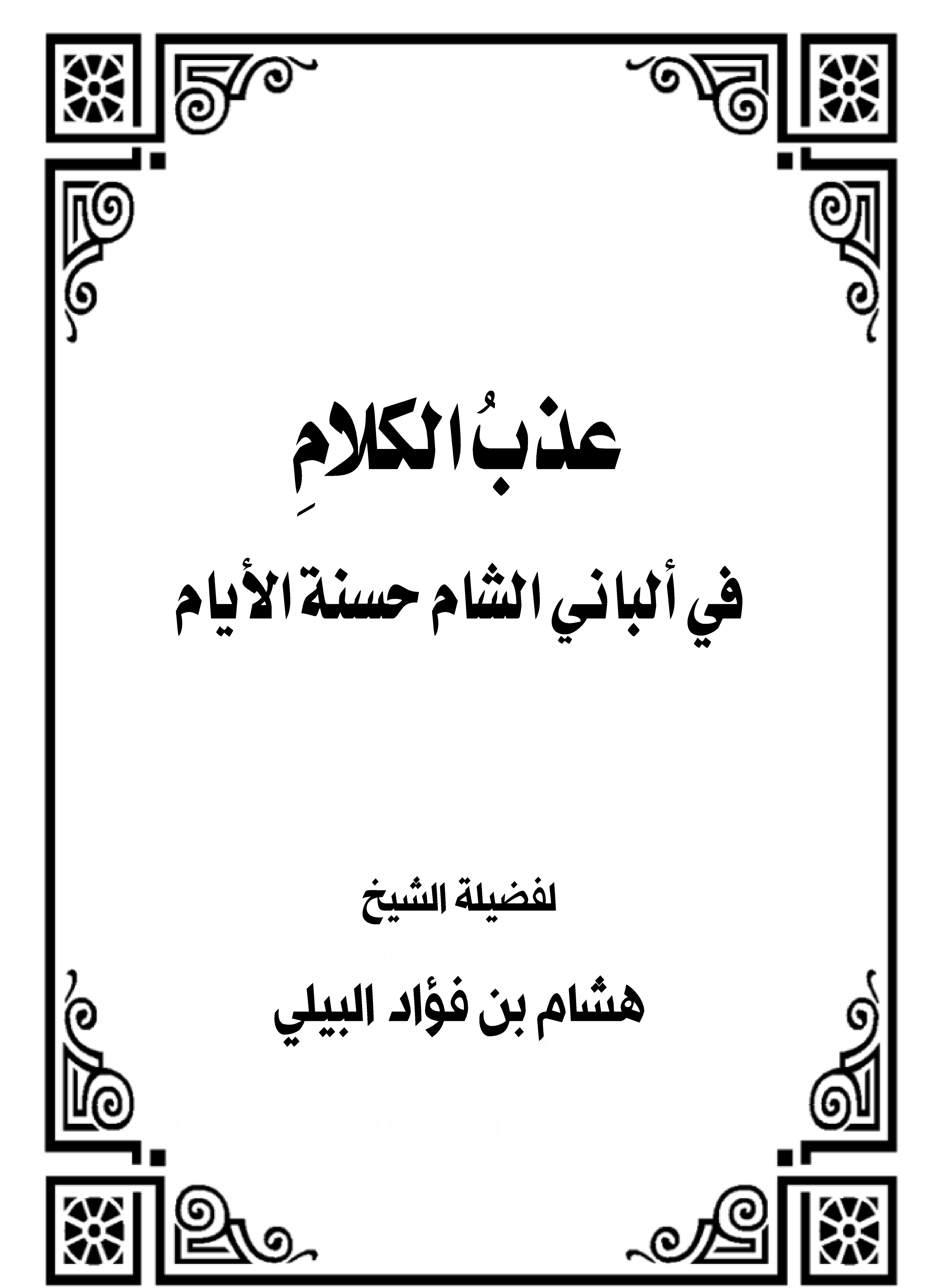


عذبُ الكلامِ

في ألباني الشام حسنة الأيام

لفضيلة الشيخ

هشام بن فؤاد البيلي

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين... وبعدُ:

فإنه في يوم الأحد الموافق الخامس والعشرين من شهر شوال، لعام ألفٍ وأربعمائة وأربعة وثلاثين، وفي مسجد «هندسة الرَّي»، بمدينة «بِيَلَا»، نشرع بعون الله -سبحانه وتعالى وحوله وتوفيقه ومدده- في قراءة هذا الكتاب المبارك -إن شاء الله-، وهو: «**صحيح السيرة النبوية، ما صح من سيرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وذِكر أيامه وغزواته وسراياه والوفود إليه**»، للحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى-، بقلم العلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى رحمة واسعة-.

وهذا الكتاب -وهو «**صحيح السيرة النبوية**»- لمحدِّث العصر -بحق- وهو العلامة الألباني -رحمه الله-، وقد سبق أن ترجمنا له من قبل -أشرنا إلى تراجمه-؛ فهو أشهر من أن يُدل على فضله؛ فهو العالم الذي شهد بفضله علماء عصره؛ كالعلامة ابن باز -رحمه الله تعالى-، والعلامة العثيمين، والعلامة مقبل بن هادي.

فما من صاحب سنة في هذا العصر إلّا وأثنى على العلامة الألباني -رحمه الله تعالى-.

ولا عبرة بكلام هؤلاء الأقزام الذين ينتقصون الشيخَ قدَره وفضلَه وعلمَه، لا عبرة بهؤلاء؛ فالعبرة بما يقوله العلماء، لا بما يقوله الأقزام -وإن ادعوا الغيرة على السنة والعمل بالسنة-؛ فلا عبرة بهؤلاء، فكما قلنا: القول ما قاله العلماء.

وكلام العلماء -رحمهم الله تعالى- في الألباني كثيرٌ وكثيرٌ وكثيرٌ!!، بل صار الألباني -رحمه الله تعالى- من الذين يقولون -لا يُقال فيهم-، من الذين يحكمون -لا يُحكم عليهم-؛ كما قال البعض: إنما يُسأل الألباني عنَّا، نحن لسنا الذين نُسأل عن الألباني -رحمه الله تعالى-.

فعلمه وعمله بالسنة أشهر من أن ينتقده هؤلاء الأقزام الصغار؛ بدعاوى كثيرة لا دليل عليها، وإنما غايتها أنهم أرادوا إخراج الرجل عن السنة وعما مدحه العلماء بزلاتٍ قد وقع فيها..

والعلماء عرفوا تلك الزلات، وردُّوا تلك الزلات، وحفظوا القَدْرَ؛ لجهاده العظيم في نشر السنة والذب عنها؛ فعاش أيامه ولياليه -رحمه الله تعالى- ذابًّا عن سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وهذا الكتاب -يا إخواني- وهو: «**صحيح السنة النبوية**» له قصة ذكرها الشيخ -رحمه الله تعالى- في المقدمة تدل على غيرته على السنة -رحمه الله-، وعلى سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- في تمييز ضعيفها من صحيحها..

ولهذا كم في هذا العصر الذين اشتغلوا بعلم الحديث! لكن كم الذين حصل بعلمهم البركة؟!، وكم الذين حصلت لهم الإمامة في هذا العصر؟!

أكثر علم اعتنى به الناس (**علم الحديث**)؛ من جهة الرواية والدراية -في هذا العصر-.. كُثُر جدًا!، حتى إنك لا تكاد تجد مكانًا إلّا وفيه من يُعْنَى بهذا، يتعلم التخريج، التحقيق، كذا كذا، أبحاث حديثية.. كثير هؤلاء جدًا!

أمّا العلم بالعقيدة نادر!، العلم بالفقه نادر!، العلم بالتفسير نادر!

أمّا العلم بالحديث، رواية ودراية؛ تتعلم التخريج، تتعلم كذا، والتصنيف، والتأليف، وغير ذلك من هذه الأشياء.. أكثر عِلم يَوجَد!!، وأكثر الطلاب!!

لكن كم الذين حصل بهم البركة؟!

مَن كالألباني ممن حصلت له البركة في هذا الزمان؟!

مَن يا إخواني؟! مَن؟! أخبروني مَن؟! الذي عنده مَن يقول! مَن؟!

فأعلام في هذا العصر!، أعلام!، الشيخ الألباني -عليه رحمة الله- عَلم في هذا العصر!، العلامة أحمد شاكر..

لكن يتميز الألباني -رحمه الله تعالى- عن أحمد شاكر بكثير، منها الأمور: بمنهجه الواضح، وبيانه للأمة، وجهاده في المنهج، بجوار الذب عن السنة وكذا، وتمييز صحيحها من ضعيفها الذي مَهر فيه العلامة أحمد شاكر..

لكن الشيخ الألباني -رحمه الله تعالى- له القدم الراسخ في الرد على أهل الأهواء وأهل البدع والإكثار من ذلك، وتبيين السنة، والذّبّ عنها، والتربية، والمسالك العظيمة التي كان عليها -رحمه الله تعالى-، وهكذا.. حتى صار أستاذًا في هذا العصر.

كنَّا في مجلس العثيمين- رحمه الله تعالى- في بيت قريبٍ له، فسألته -رحمه الله تعالى- عن عبارة الحافظ ابن حجر في بداية «**كتاب الإيمان**»، في التفريق بين منهج أهل السنة والجماعة وبين منهج الخوارج والمعتزلة في باب الإيمان؛ حينما قال الحافظ ابن حجر: والفرق بين أهل السنة والجماعة وبين الخوارج والمعتزلة أن أهل السنة يرون العمل شرط كمال!، أما هؤلاء يرون العمل شرط إيه؟ شرط صحة!

وبيَّن الشيخ الكلام حول هذا العبارة وكذا وكذا، ثم وحده -والله يا إخواني- من غير أن نسأله عن الألباني -رحمه الله تعالى-.. ثم وحده قال -رحمه الله تعالى-: ويقولون الألباني مُرجئ!!، الألباني مرجئ؟!! الألباني مرجئ؟!! الألباني مرجئ؟!!، وصار يُنافح عن الشيخ الألباني -رحمه الله- من غير أن يسأله أحد، لمّا ورد ذكر مسألة الإيمان.

ويأتي الأقزام اليوم يقولون: إن الشيخ الألباني مُرجئ في هذا!، حتى ولو... نحن نعلم بأن قول الشيخ الألباني في هذا، نحن لا نُؤيده!، ولا ننصره!، ونقول: قولُه خاطِئ، ولا نرى في المسألة خلافًا معتبرًا!، وقولُه هذا وافقَ المرجئة!، لكنْ ليس مُرجئًا!!

إنْ قلتَ: إنّ قول ابن خزيمة في رد حديث الصورة يجعله جهميًا!؛ فاجعل قول الألباني يجعله مرجئًا!

فإنْ قلتَ: تلك زلة لابن خزيمة، ومحال أن يكون جهميًا!؛ فقل -كذلك-: وتلك زلة من الألباني، ومحال أن يكون مرجئًا!

وأنا معذرةً -يعني- لن أترك الكلام للأئمة الكبار في الألباني -رحمه الله تعالى-، وهو الذي يسلك مسالك العلماء؛ لأن الألباني لما قال بهذا، سلكَ مسالك العلماء؛ استدل بالنص، واستدل بالأثر.

كون هذا ليس محله؛ هذا شيء آخر، كما أن ابن خزيمة في رد حديث الصورة سلك مسالك العلماء، وبيَّن أن النص على صورة الرحمن به علل، وذكر العلل -وإن لم يكن النصُّ معلولًا عند العلماء الآخرين-.

بل قال أحمد -رحمه الله-: مَن ردَّ هذا؛ فهو جهميٌّ!!

نعم، مَن رد الصفة الثابتة فهو جهميٌّ، أما عند ابن خزيمة لم تثبت صفة الصورة حتى يردها!، وإلّا فهو الذي يقرر الصفات -قبل وبعد-، فإذا لم تلحظ هذا ، سوف تأتي على أئمة الإسلام بالبتر! والنقض! والردّ!

لهذا ابن عثيمين يقول إيه: مُرجئ؟! هذا مُرجئ؟! هذا مُرجئ؟!، الألباني مرجئ؟! الألباني مرجئ؟!

لو لم يكن لي من حياة العثيمين إلّا هذه، من لقاءاتنا مع العثيمين إلّا هذه، الوجه للوجه، ليس الذي كان يأتي مرة! أو مرتين! وكان (مِعَلِّمَ صبيانٍ!!).

طيب أنا سمعتُ هذه في لقاء واحد، لم ألقَ العثيمين -مثلًا- إلّا لقاءً واحدًا.. سألته، باحثته، رأيته، سمعته، تعلمتُ منه، رأيتُ العلم على وجهه -قبل أن أسمع العلم من لسانه-، رأيته يدافع عن أئمة الإسلام..

وفي نفس المجلس قال -بلسان السلفيّ صاحب البيان، وكم نتعلم من العثيمين شيخنا وإمامنا وإن رغمت أنوف- في المجلس نفسه قال أخٌ له: يا شيخ جزاك الله خير على الشفاعة للشيخ مقبل -الشيخ مقبل كان بينه وبين الدولة السعودية أزمة ولكنها حُلت في نهاية حياته وشفعوا له حتى دُفن مقبل في مكة فذكروا ذلك للعثيمين، الإخوة تُثني على العثيمين- فماذا قال؟!

قال -رحمه الله تعالى-: الثناء للأمير نايف -جزاه الله خيرًا- هو الذي قَبِل، وهو الذي كذا، فجزاه الله خيرًا؛ لنتعلمَ فائدةً أخرى: ثناءٌ على الأمراء، ثناءٌ على ولاة الأمور..

لو لم يأتنِ إلّا هذا، فكفى!

ألا أكونُ طالبًا للعثيمين ونحن نقطف بلا واسطةٍ من فيهِ؟! إنْ لم يكن هذا الطالب، فمَن الطالب؟!

والحمد لله، ونقول هذا حامدين ربنا -سبحانه وتعالى- مُعترفين له، مُذعنين له بالفضل، ولولا فضل الله علينا ما سمعنا هذا.

تكفيني الفائدة، أرحل إليها عمري كله، لو ما استفدتُ من العثيمين.. أنا ما التقيتُ بالعثيمين إلّا هذا، ليس المرة والمرتين!، وكان يشرح الأصول الثلاثة ومتون المبتدئين!

ما رأيك في هاتين الفائدتين؟!، أهي فوائد المبتدئين؟!، أهي فوائد المبتدئين؟! لما أرى عالمًا نحريرًا -في نظري أنا- أفقه من الألباني..

في نظري أنا، العثيمين أفقه من الألباني، ولكنك ترى تلميذًا يتحدث عن شيخ، ترى العثيمين تلميذًا من قمة تواضعه يتحدث عن شيخ..

حينما أرى هذا، ألا يكفيني هذا أن أضرب أكباد الإبل في تحصيلها -عند مَن يُقدِّر الفوائد واللقاءات-؟!

ألا يكفيني والعثيمين يُثنى عليه في شفاعة عظيمة فيحيل الأمر إلى الأمير؟!، ألا يكفيني هذا؟! ألا يكفيني هذا سندًا؟! ألا يكفيني هذا فائدةً؟!

أنا ما تعلمتُ إلا هذا!!

فسل علماء الأرض: حينما يجلس طالب يتعلم من شيخه في لقاءٍ واحدٍ مثل هذا، ألا يكفيه أن يكون تلميذًا عند شيخه؟! ألا يكفيه هذا؟! كيف إذا أضفتَ إلى هذا عشرات اللقاءات؟!

وأقولُ هذا من باب هذه أمور [...]، وإلّا -يمكن- ما سمعتم هذا كثيرًا مني، والحمد لله ما أتكلم في هذا كثيرًا -والحمد لله-.

فلمَ الكذب؟! ولِمَ الافتراء؟!

وهل لَمن يفتري ويكذب مثل هذا؟!

فالألبانيُّ ألبانيٌّ ذو قدر عالٍ، لا نلتفت إلى أحد في الحكم على الألباني وقد حكم عليه أكابر عصره!

ولقد كنتُ أرى، أرى بعينيَّ، وأسمع بأذُنيَّ، وأعي بقلبي -وأنا في حلقة الكبار-: أبحاثٌ تُقرأ على شيخنا ابن باز -رحمه الله تعالى- للألباني، وهو يستمع، ويستمع، ويستمع..

بل أسمع شيخنا -مرةً- وهو يقول: لمّا سُئل عن «**حديث أسماء**»، وأنّ الألباني صحّحَ الحديث! -«**يا أسماء إذا بلغتِ المرأة المحيض، فلا يصح أن يظهر منها إلا هذا وهذا**»-، فقال الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى: أخونا! الشيخ ناصر.. أخونا! الشيخ ناصر كغيره من العلماء يُصيب ويُخطئ، والحديث به علل، وذكرَ علل الحديث، أخونا! الشيخ ناصر، أخونا!، وكان الشيخ يُقدِّره جدًا، ويَحفظُ قدره.

والعلماءُ قاطبةً.. ما رأيتُ مَن انتقص الألباني!، حتى يأتي أمثال هؤلاء وينتقصون الألباني -رحمه الله تعالى- ..

بدعوى الغيرة على إيه؟!

الاعتقاد!

بدعوى الغيرة على السنة!

هذا الرجل قال: بقول المرجئة، هذا رجل مُرجئ!، هذا رجل..

دَعْ زلته! دَعْ زلته!؛ فالعثيمين يعلم هذا..

لكنْ فرِّقوا بين مَن يُوافق المرجئة في قول!، وبين مَن يُؤصِّل للمرجئة!

ولهذا الألباني -نفسه- ماذا قال في تعليق على «**الطحاوية**» -مع مرجئة الفقهاء-؟!

قال: الخلاف بيننا وبين مرجئة الفقهاء، خلاف صوري ولا حقيقي؟!

الألباني -نفسه- ماذا يقول في الخلاف مع مرجئة الفقهاء؟!

يقول: الخلافُ حقيقيٌّ!!

فإذا كان الخلافُ مع مرجئة الفقهاء خلافًا حقيقيًا -يقرر ذلك الألباني-، فكيف يكون مرجئًا؟!!

سبحان الله العظيم!!

الحمد لله، الحمد لله يا إخواني، المسائل ليست بسيطة، ليست المسائل هينة يا إخواني، ليست المسائل هينة، ولهذا أنا أقول:

راعوا هذه المسائل -بارك الله فيكم- عندي أو عند غيري-، راعوا هذه المسائل، وليس كل أحد يُنتفع به، وليس كل أحد تحصل به البركة، وليس كل أحد تضيِّع وقتك بالجلوس عنده، لا تضيِّع وقتك -بارك الله فيك-، ولا تُذهِب عمرك هباءً منثورًا؛ إنما العلم له قاعدته، وإنما المنهج له أربابه وأهله.

هؤلاء تدينوا بالعلم، تدينوا به.. أحد إخوانكم أمس يخبرني: أن شيخًا من المشايخ جاءه -أيضًا- من يُزعَم أنه شيخ! وتكلم معه وكذا وكذا في مسجده.. المهم سمح له بمحاضرة، وأعطى المحاضرة وكذا، فالطالب يقول للشيخ: يا شيخ ده هذا كلّمنا في محاضرة وكلها: كيت وكيت، وانتقدنا.. قال: والله أنا لا أوافقه!، فقال: كيف لا توافقه! وكيف تعترض عليه، وتسمح له أن يجلس مكانك وأن يدرِّس؟!!

والذي يؤلِّف كتابًا في نقد المظاهرات، وفي نقد الانتخابات، والبرلمانات، وحكم الجاهلية، وفي خاتمة كتابه يقول: وأنا ما قلتُ هذا إلّا لله، ويُقدِّم له الشيخ مقبل، كأنما يقدِّم لطالب علم سلفي.. تقديم الشيخ مقبل لأحمد أبو العينين في كتابه «**إعلان النكير**».

ثم لما قامتِ الثورة نقضه كلمةً!، نقض هذا الكتاب!، نقض كثيرًا مما كان فيه!، مما تكلم في المظاهرات وكذا، وقال: رأيٌ رجعتُ عنه!!

رأيٌ رجعتَ عنه؟! طيب ما دليل الأوّل وما دليل الثاني؟!، ولماذا لم ترجع عنه إلّا الآن؟!، وقلتَها لله أولًا، والآن تقولَها لمن؟!

يا إخواني بُعْد التدين بالعلم، بُعْد التدين بالجرح والتعديل، بُعْد التدين يا إخواني، أحد إخوانكم أمس يقول إيه؟!؛ يقول لي -ناصحًا-: يا شيخ لو تركتَ تسميع المتون للصغار -يا شيخ- وكذا.. يا شيخ مَعْلِش! يعني

(=سامحني) مما فاق -يا شيخ- فيه الحزبيون أن الواحد جعل نفسه.. يعني يا شيخ.. يعني فصلَ نفسه.. يعني جعل نفسه..؛ لأن يا شيخ أنْ تُسَمِّع لهذا وذاك وكذا، يعني..

قلتُ: فسقطَ بذلك الحزبيون!!

وأنا أرى أن التميز أن تَسْمَعَ هذا المتن من الصغير؛ ليأتي هذا المتن في ميزان حسناتك يوم القيامة.

دعك من هذه.. تجعل لنفسك!، تجعل لنفسك!، تجعل لنفسك!

حينما تكون شيخًا، اجعل لنفسك!، لكن حينما تكون طالبًا مع إخوانك أكبر منهم تُحيل على هذا وعلى ذاك.

فلما فعلَ الحزبيون هذا، نجحوا أم سقطوا؟!

بالعكس! يأتي هذا يُسَمِّع عليَّ «**الأربعين النووية**»، تلقى الله: يا ربِّ، سمعتُ «**الأربعين**» من هذا، ولَّا هذا «**الأصول الثلاثة**»، ولَّا هذا «**نواقض الإسلام**» جميع الناس.

يا أخي أنا مُعلِّم صبية!؛ هنيـــئًا لمن علَّم الصبية كتاب الله، وسنة رسول الله، «**خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلّمه**».

ما قال النبي: خيركم مَن علَّم الكبار! القرآن، ولم يُعلِّم الصغار!، أنا يا أخي معلم صبية!، معلم للصبية!، الحمد لله، شرف لي، الحمد لله..

يااااه الله يقبضني إليه معلمًا للصبية بحق؛ أهذا يُجرَح به الإنسان؟!!

سبحان الله!! ما أغرب السنة في هذا الزمان!، ما أغرب السنة!، معلم صبية!

ومما كان يطعن السلف فيه -في الناس- أن الواحد إذا علّم الصبية كتاب الله رُدّ عليه علمه!!

أقال أحدٌ هذا؟!!

شرفٌ لي، شرفٌ لي، أفرح يا إخواني، والله أفرح ثم أفرح ثم أفرح؛ حينما يأتي الصبية يتعلمون، ويقرؤون، ويُسمِّعون، أنا المنتفع قبلهم؛ أمّا محفوظي أراجعه، وأما سماعي أتعبد به، أسأل الله القبول فقط، وأن لا يكون نصيبنا من العمل تعبٌ ونَصَب فقط!

هنيئًا لَمن علّم الصبية، وعلّم المرأة، وعلّم الرجل.. النبي كان يعلِّم مَن؟!

النبي علَّم ابن عمر، وعلَّم عمر، النبي علَّم أبا بكر، وعلَّم عائشة..

عجيب! عجيب يا أبا جعفر، عجيب!، عجيب هذا الزمان! عجيب هذا الزمان!!

نعود للألباني، نعود إلى المسلك، نعود إلى المنهج، نعود إلى مَن عمل لله بقي عمله -ولو يمت-، ومَن قال لله بقي قوله -ولو رحل-، ومَن صنّف لله بقيت كتبه -وإن واراه التراب-.

نعود إلى آية الله في خلقه، نعود إلى حفظ الله لشريعته، نعود إلى أن ما خرج ممزوجًا بالإخلاص موافقًا للسنة فلن يموت!؛ فتلك ورقة الحميدي تبقى متألقةً عبر الزمان: «**أصول السنة**» للحميدي، وتلك «**أربعون النووي**» تبقى يحفظها جيل بعد جيل.

وكم كتبَ، وصنّفَ، وألّفَ، وقالَ، وخطبَ، أناسٌ فماتوا ومات علمهم!؛ فإنه طريق لا يثبت فيه إلا الصادقون.

هذا الكتاب بركة اطّلاع دام دقائق! من صاحب قضيةٍ وَهَمٍّ، وهو: الألباني -رحمه الله-، بل وحياة الألباني إنما كان مفتاحها الأمر نفسه، حينما طالع ورأى ففتح الله قلبه لهذا المنهج فانتهجه.

قال -رحمه الله- إن الحمد لله.. اهـ.

وفرّغه/ أبو معاذ محمود الصعيدي.

مراجعة وتنسيق/ أبو عبدالرحمن حمدي آل زيد.